

التحرير والتنوير

والمن : ذكر النعمة والإحسان ليراعيه المحسن إليه للذاكر وهو يكون صريحا مثل قول سبرة بن عمرو الفقعسي : .

أتنسى دفاعي عنك إذ أنت مسلم ... وقد سال من ذل عليك قراقر ويكون بالتعريض بأن يذكر المان من معاملته مع المنون عليه ما هو نافعه مع قرينة تدل على أنه لم يرد مجرد الإخبار مثل قول الراعي مخاطبا عبد الملك بن مروان : .

فآزرت آل أبي خبيب وافدا ... يوما أريد لبيعتي تبديلا أبو خبيب : كنية عبد الله بن الزبير .

وكانت مقالة بني أسد مشتملة على النوعين من المن لأنهم قالوا " ولم نقاتلك كما قاتلك محارب وغطفان وهوازن " وقالوا " وجئناك بالأثقال والعيال " .

و (أن أسلموا) منصوب بنزع الخافض وهو باء التعدية يقال : من عليه بكذا وكذلك قوله (لا تمنوا علي إسلامكم) إلا أن الأول مطرد مع (أن) و (أن) والثاني سماعي وهو كثير . وهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم آمنا كما حكاه الله أنفا وسماه هنا إسلاما لقوله (ولكن قولوا أسلمنا) أي أن منوا به عليك إسلام لا إيمان .

وأثبت بحرف (بل) أن ما منوا به إن كان إسلاما حقا موافقا للإيمان فالمنة لا لأن هداهم إليه فأسلموا عن طوعية .

زعمهم مسابرة فمناسبة المنة كون مقام المقام لأن لزعمهم مجازاة إيماننا الآن وسماه A E أنهم آمنوا أي لو فرض أنكم آمنتم كما تزعمون فإن إيمانكم نعمة أنعم الله بها عليكم . ولذلك ذيله بقوله (إن كنتم صادقين) فنفي أولا أن يكون ما يمنون به حقا ثم أفاد ثانيا أن يكون الفضل فيما ادعوه لهم لو كانوا صادقين بل هو فضل الله .

وقد أضيف إسلام إلى ضميرهم لأنهم أتوا بما يسمى إسلاما لقوله (ولكن قولوا أسلمنا) . وأتي بالإيمان معرفا بلام الجنس لأنه حقيقة في حد ذاته وأنهم ملابسوها .

وجيء بالمضارع في (يمنون) مع أن منهم بذلك حصل فيما مضى لاستحضار حالة منهم كيف يمنون بما لم يفعلوا مثل المضارع في قوله تعالى (ويسخرون من الذين آمنوا) في سورة البقرة .

وجيء بالمضارع في قوله (بل الله يمن عليكم) لأنه من مفروض لأن الممنون به لما يقع . وفيه من الإيذان بأنه سيمن عليهم بالإيمان ما في قوله (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) وهذا من التفنن البديع في الكلام ليضع السامع مع كل فن منه في قراره ومثلهم من يتفطن

لهذه الخصائص .

وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي لإفادة التقوية مثل : هو يعطي الجزيل كما مثل به عبد القاهر .

(إن ا يعلم غيب السماوات والأرض وا بصير بما تعملون [18]) ذيل تقويمهم على الحق بهذا التذييل ليعلموا أن ا لا يكتم وأنه لا يكذب لأنه يعلم كل غائبة في السماء والأرض فإنهم كانوا في الجاهلية لا تخطر ببال كثير منهم أصول الصفات الإلهية . وربما علمها بعضهم مثل زهير في قوله : .

فلا تكتمن ا ما في نفوسكم ... ليخفى فمهما يكتم ا يعلم " ولعل ذلك من آثار تنصره " . وتأکید الخبر ب (إن) لأنهم بحال من ينكر أن ا يعلم الغيب فكذبوا على النبي صلى ا عليه وسلم مع علمهم أنه مرسل من ا فكان كذبهم عليه مثل الكذب على ا .

وقد أفادت هذه الجملة تأكيد مضمون جملي (وا يعلم ما في السماوات وما في الأرض) (وا بكل شيء عليم) ولكن هذه زادت بالتصريح بأنه يعلم الأمور الغائبة لئلا يتوهم متوهم أن العمومين في الجملتين قبلها عمومان عرفيان قياسا على علم البشر .

وجملة (وا بصير بما تعملون) معطوف على جملة (إن ا يعلم غيب السماوات والأرض) عطف الأخص على الأعم لأنه لما ذكر أنه يعلم الغيب وكان شأن الغائب أن لا يرى عطف عليه علمه بالمبصرات احتراسا من أن يتوهموا أن ا يعلم خفايا النفوس وما يجول في الخواطر ولا يعلم المشاهدات نظير قول كثير من الفلاسفة : إن الخالق يعلم الكلليات ولا يعلم الجزئيات ولهذا أوتر هنا وصف (بصير) .

وقرأ الجمهور (بما تعملون) بتاء الخطاء . وقرأه ابن كثير بياء الغيبة . بسم ا الرحمن الرحيم .

سورة ق .

سميت في عصر الصحابة (سورة ق) " ينطق بحروف : قاف بقاف وألف وفاء "